



بنية التعبير في اللغة العربية بين التعليم والتدريس

The Structure Of Expression In The Arabic Language Between Teaching And Study

عمر شنيني¹، سليمان بن سمعون²

1- جامعة غرداية، cheniniomar@gmail.com

2- جامعة غرداية، dr_bslimane@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2020-05-14

تاريخ الاستلام: 2019-10-09

ملخص -

يُعدُّ نشاط التعبير من أبرز ما يقف عنده المعلم في تعليم العربية ، وعلومها ؛ ولا شك أنّ ما يميّز تلك التقنية _ أو ذلك النشاط _ أنها المدخل إلى المعرفة باللغة وعلومها، ومن هذا المنطلق ارتأينا في هذه المداخلة أن نقف عند بنية التعبير في اللغة العربية من حيث وقوع هذه البنية في مفترق مفهوميين متداخلين ، ومختلفين بعض الشيء، ومع ذلك فيمكننا أن نضع للتعبير بنية ، وستكون مبررات البحث كامنّة في البحث عن تلك البنية من منطلق التعليم والتدريس، وكون أحدهما أشمل من الآخر في تحديد خصوصية بنية التعبير، وسيكون حظنا في تحليل البنية نظريا أكثر منه تطبيقيا ، وسيكون للآراء المختلفة المستشهد بها في التحليل؛ ركيزة لبناء مفهوم للتعبير من منطلق البنية وشروطها .

كلمات مفتاحية-

البنية؛ اللغة العربية؛ التعليم؛ التدريس.

Abstract-

The Activity Of Expression Is One Of The Most Prominent Of What The Teacher Stands In Teaching Arabic, And Its Sciences. There Is No Doubt That What Distinguishes This Technique Or Activity Is That It Is The Entrance To The Knowledge Of The Language And Its Sciences. In This Regard, We Consider The Expression Structure In Arabic The Structure Of The Crossroads Of Concepts Overlap, And Different Slightly, But We Can Put The Expression Structure, And The Justification For Research Lies In The Search For That Structure Of Education And Teaching, And The Fact That One Of Them Is More Comprehensive Than The Other In Determining The Specific Structure Of Expression, It Is Applied, And Will Be For The Beholder Various Cited In The Analysis; A Pillar Of Building The Concept Of Expression In Terms Of Structure And Conditions.

Words Key -

stylistic/structure/expression/arabica/éducation

1. مقدمة

برز مفهوم البنية في اللسانيات البنيوية بوصفها المجال الفعلي الذي يتحقق فيه ذلك المفهوم، وقد اضطلعت اللسانيات بمهمة البحث في شكل اللغة من منطلق أن اللغة تدرس دراسة علمية، وأن إخضاع مجموعات البنى اللغوية للمفهوم الصوري للغة ؛ سيُعدّ بؤرة الاهتمام بمجال التحليل الشكلي، ولكننا في هذه المقالة لا نقف فقط عند المفهوم الشكلي، بل نتجاوزه كلما اقتضت الضرورة ذلك، كون موضوع بنية التعبير قد تتجاوز الشكل اللغوي إلى المعنى، أو بالأحرى إلى مجموعة من المفاهيم التي يتطلبها موضوع التركيب اللغوي ، ومن ثم البحث في بنية التعبير، ولذلك سنقرّر ابتداءً أن بنية التعبير هي النشاط اللغوي الذي يمارسه مستعمل اللغة ؛من منطلق أن التعبير لا ينحصر في الأشكال اللغوية ، والقوالب الجاهزة ، وإن كانت تلك الأشكال والقوالب هي ركائز أساسية في تحديد مفهوم التعبير ، ومن ثم تحديد بنيته، وقد تتحدّد بنية التعبير في اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ، وفي المعجم بوصفه المدونة التي يشترك فيها المتكلمون باللغة ، وبالنحو بوصفه القواعد الشكلية التي تحدد بنية

التعبير وتنظمه، وبالبلاغة من حيث التعبير عن المعاني الحقيقية في مقابل المعاني المجازية مثلاً، وبالصرف بوصفه النظام الذي يتحكم في رصد بنى الكلمات، وتحديد معانيها الصرفية والدلالية، وستكون تلك العلوم هي بمثابة تحقيق البنية التي يخضع لها مفهوم التعبير في اللغة العربية، وستكون محاولة الدراسة متمثلة في إمكانية الفصل بين مفهومي التعليم والتدريس، وحدود كل منهما.

2. بنية التعبير:

يتعلق مفهوم التعبير في المجال المعرفي الذي يحدّه بمجال اللغة والأدب، وربما قد يتبادر إلى الأذهان أنّ هذا المفهوم شاسع، ولا يقتصر على مجال اللغة والأدب؛ ذلك أنّ مستعمل اللغة يعبر عن كل رغباته وحاجاته، وهو ما يجعله يوظف اللغة، ومن ثم التعبير بها عن مقاصد وغايات مختلفة، اختلاف الحاجات والضرورات، وفي هذه المقالة سنبحث عن إمكانية التعبير باللغة في مجال اللغة العربية، وعلومها، و"التعبير في اللغة يعني الإفصاح، أو الإبانة، أو الكشف، أو الإظهار، أو التفسير، أو التبيين، أو التوضيح"¹ وعليه فإن معنى التعبير لا يخرج عن تلك المعاني السابقة، والتي تحمل معنى البيان والوضوح، ومع ذلك فإن مستعمل اللغة لا يلزمه فقط فهم كفاءات بناء التعبير؛ بقدر ما يهمه كفاءات توظيف المعنى المعبر به في المقام المناسب، وهو ما يحيلنا إلى التركيز على معنى التعبير الأدبي فهو "فيضٌ يجري بخاطر الكاتب، فيُصوّر مدى انعكاس ما يراه، أو ما يسمعه بعبارات فيها ألفاظ تحدّد، وأفكار توضح، ومعانٍ تترجم ما يختلج في الصدر من عواطف ومشاعر وأحاسيس"²

ومما سبق يتبيّن أن بنية التعبير ينبغي أن تشمل ما هو مسموع وما هو مرئي، وما يمكن وصفه أيضاً بالمعنى المجرد، لأنّ التعبير باللغة في مجال الأدب، يقتضي فهم المنطوق والمكتوب، والمفوظ والتلفظ، وهي كلها مصطلحات لها علاقة بمجال تحليل الخطاب في الدراسات اللسانية والأدبية والنقدية إذن سيكون تحليلنا لبنية التعبير من منطلق علوم اللغة العربية، وبين مفهومين متداخلين هما التعليم والتدريس، ولذلك نرى بداية أن نحلل مفهوم البنية، ومنها ننتقل إلى بنية التعبير، ثم علاقتها بمفهومَي التعليم والتدريس.

إنّ مفهوم البنية ذو طابع مجرد ، وهو يحيل على جملة من العلاقات بين مجموعة من المكونات، وهنا ليس بمقدور مستعمل اللغة إلا أن يضع في حسابه إمكانيات التحليل البنيوي للمكونات، وخاصة إذا كانت متمحورة حول الكلمات وقيمها، وهو ما يجعل التعبير يقف عند بنية الكلمة ، ثم تحليل العلاقات القائمة بينها في إطار مفهومها البنيوي، ولذلك فإنّ " البنية تحمل _ أولاً وقبل كل شيء _ طابع النسق أو النظام، فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أيّ تحوّل يعرض للواحد منها؛ أن يُحدث تحوّلًا في باقي العناصر الأخرى"³

والواقع أن بنية التعبير تخضع لمفهوم التحولات، فأى تحول في معنى كلمة ما سيستدعي تحولا في مقام الجملة المعبر بها ، ومثال ذلك حالة المشترك اللفظي الذي يتطلب معان مشتركة للفظ الواحد، ومن هنا ينبغي على مستعمل اللغة أن يُراعي المقاصد والغايات التي يرومها لتحقيق أغراضه ومتطلباته.

وإذا كان التعبير يتحرك بين معاني الكلمات وأبنيتها، وبين تركيب الجمل وخصائصها الدلالية ؛ فإنّ على مستعمل اللغة ، أو بالأحرى المدرّس أن يفهم كفايات الانتقال من معاني الكلمات المفردة إلى معاني الجمل في تركيبه للكلام، وتواصله مع الآخرين، وهو الأمر الذي يجبرنا على القول ابتداءً أنّ بنية التعبير حاصلة بالتدريس، إذا ما تعلّق الأمر بفهم تلك التحولات من بنى الكلمات إلى صياغة الجمل والعبارة، ولذلك ف " إننا نهدف بتدريس اللغة إلى أمرين أساسيين هما:

1_ أداء الحاجة المباشرة في الحياة اليومية، على أوسع معنى الحاجة بما في ذلك الجوانب الوطنية والقومية وغيرها.

2_ إدراك أسرار الإبداع الفني ومحاولة مزاولة العملية نفسها إنشاءً ونقداً، يجب أن يبقى هذان الهدفان نصب عين المدرس في كل درس من دروس اللغة العربية المختلفة، المطالعة، التعبير، القواعد، النصوص، الأدب، النقد، البلاغة... مع تخصيص يتفق وطبيعة الدرس الواحد من هذه الدروس"⁴

ومما سبق يمكننا أن نقف وقفة تأمل في الطرح الذي قدّمه علي جواد الطاهر، عندما عدّ التعبير هو درس من دروس اللغة العربية، وله طبيعة خاصة؛

مثالاً لكل درس طبيعته وخصوصيته، ومع ذلك فإنّ منظورنا للتعبير بوصفه بنية يتموقع في مفترق الدروس اللغوية والأدبية.

وقد نجد في ما يتعلق بالتعبير ، وما يتصل بمفهوم التدريس مفهوم آخر؛ وهو مفهوم التعليم، فقد يرادفه (التعليم مرادف للتدريس)، وقد يأخذ التدريس معانٍ إضافية أخرى ، ومع ذلك يمكن في الوقت ذاته أن تكون متحققة في مفهوم التعليم، ولنا أن نشير إلى أن التعليم عامٌ وشاملٌ قد يتجاوز مفهوم التدريس، وقد ينطبق عليه، فإذا كان التعليم يشمل جميع مناحي الحياة؛ فإنّ التدريس له خصوصية المجال المعرفي الذي ينتظم ضمنه، ولذلك جاءت الأمثال الشعبية بوصفها أمثلة تلخص تجارب الحياة، وتبيّن أنّ الخبرة هي مجال الحياة، وأنّ التعليم يبدأ من تلك التجارب المختلفة والمتنوعة.

ولكن لكي يتحدّد مفهوم "التعليم" في إطاره الأكاديمي، يجب تعريفه اصطلاحياً بأنّه "العملية التي تؤدّي إلى تمكين المتعلم من الحصول على الاستجابات المناسبة والمواقف الملائمة من خلال إثارة فاعليته في المواقف التي ينظمها المعلم، وهناك من ينظر للتعليم على أنّه العملية التعليمية التي تتم داخل وسائل التربية النظامية معتمداً على مكونات عدّة منها: المنهج، التدريس، التقويم، الإدارة، الإرشاد والتوجيه، وإتجاه آخر يعرف التعليم بأنّه عملية التفاعل بين المعلم، والمتعلمين، داخل الفصل، أو في قاعة المحاضرات، أو في المختبرات"⁵

إذن لدينا مجموعة من المصطلحات التي تجمع بين التعليم والتدريس، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر التعلّم، الإدراك، المعرفة، التجربة، الذكاء، التمرس، التمرين، وهي مصطلحات يمكن أن تردّ في المجالين مع بعض الاختلافات القائمة بينها في التطبيق، وعلى مستوى التنظير أيضاً، فعلى مستوى الممارسة نلاحظ أنّ نشاط التعبير هو نشاطٌ مهمٌّ؛ ولكنه متعبٌ للمعلم الذي يصفه بأنه حصة دراسية مثله مثل باقي الدروس كالقواعد، والمطالعة، والبلاغة... وغيرها.

ولا يتحقق التدريس إلا بالتعليم، لأنّ الأول خاصٌ، والثاني عامٌ، وقد جاءت معاني التدريس متعدّدة منها:

أنّه يعني مهنة، ويعني أيضا "إرشاد الإنسان بالتعليمات المتنوعة في المعاهد التعليمية بواسطة المعلم"⁶

فالتدريس قائم على التأطير المنهجي من قبل المعلم أو المدرّس الذي يمارس عملية التعليم انطلاقا من خبرته في المجال المعرفي الذي يمارسه، ولا يستطيع أن يدرّس إلا بعد إطلاعه على مناهج الدراسة، والطرق التربوية الحديثة لإيصال المعلومة.

وهناك اتجاه آخر يُعرّف التدريس بأنه "عملية اجتماعية انتقائية تتفاعل فيها كافة أطراف العملية التربوية من إداريين، عاملين لتحقيق نمو متكامل في جميع نواحي الشخصية العقلية، الانفعالية، المهارية للمتعلمين"⁷. والتدريس كما سبق يتطلب عملا مشتركا بين المدرّس والإدارة والعاملين، والمتعلمين، وهذا الاشتراك هو ما يُؤطر العملية التعليمية، ويضعها في الطريق الصحيح، ولذلك نُظر إلى التدريس أيضا وفق مجموعة من المداخل ذكرتها سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، حيث حدّدت معنى التدريس في مجموعة مداخل منها:

"_ المدخل الذي ينظر للتدريس على أنّه عملية توصيل المعلومات إلى أذهان المتعلمين، ويعرف كذلك بأنّه عملية تقديم الحقائق والمعلومات والمفاهيم لفظا إلى ذهن المتعلم

_ هناك مدخل يعدّ التدريس عملية تربوية متكاملة، وفي ضوء ذلك يعرف التدريس على أنّه عملية تربوية تأخذ في اعتبارها كافة العوامل المكوّنة للتعليم، ويتعاون خلالها كلّ من المعلم والمتعلم لتحقيق الأهداف التربوية المرجوة، في حين ظهرت بعض المداخل المعاصرة للتدريس، والتي يرى أصحابها أنّ التدريس نظام متكامل من العلاقات والتفاعلات، له مداخل وخطوات أو عمليات ومخرجات"⁸

وعلى الرغم من تعدّد المداخل التي تحدّد معنى التدريس بوصفه عمليات تؤطره، فإننا ينبغي أن نقف على تلك العمليات بمفهومها العام، حيث يمكننا أن نستنتج أنّ عملية التدريس هي مجموعة من الخطوات والإجراءات التي يتفق حولها المدرّس والإدارة والمتعلم؛ للحصول على مادة علمية تُدرس وفق منهج

تربوي تضبط حدوده مؤسسات ترعى العملية التربوية، وتهدف إلى ضبط مسارها لتحقيق المعرفة بمجالات معرفية متنوعة.

ومن منظورنا لبنية التعبير في إطار العملية التربوية الهادفة نميل إلى اختيار مفهوم التدريس بوصفه المفهوم القادر على ضبط بنية التعبير المتعلقة بالمعلم والمتعلم، ومن شروط تحقيق بنية التعبير ما نفترضه _تصورا شخصيا_ تحقيقا لمعنى البنية (بنية التعبير)، ومن هذه الشروط ما يلي:

_إن بنية التعبير هي نشاط لغوي يستدعي فهم مكوناتها وعلاقاتها.

_يمكن افتراض مكونات التعبير وحصرها في الكلمات؛ لأن التعبير هو استعمال للغة ولمفرداتها.

_إن تحديد العلاقات التي تُؤطر بنية التعبير؛ كامن في فهم مستويات التحليل اللغوي، ونظام اللغة المعبر بها.

_قد يتمظهر التعبير بطرق أخرى غير اللغة كالإشارة، والأيقون، والرمز، والموسيقى، والفن، وغيرها، والتي قد يشملها التحليل السيميائي؛ ومفاهيمه، ولكن أهم مظهر للتعبير هو توظيف اللغة، سواء كان التعبير شفهيًا أو مكتوبًا... إلى غير ذلك من الفرضيات التي يمكن أن نميل فيها إلى وصف بنية التعبير بأنها نشاط لغوي لا يخرج عن استعمال اللغة ونظامها؛ ومن ثم الحكم على بنية التعبير بأنها تدرس ولا تعلم بالمفهوم الموسع لمفهوم التعليم، والذي لا يقتصر على فئة دون أخرى، ولذلك سنقف عند مجموعة من الأنظمة اللغوية التي تتطلبها بنية التعبير من منطلق لساني، وأهم هذه الأنظمة النظام المعجمي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والنظام البلاغي، ويمكن أيضا أن نفترض أن التعبير في مفهومه الاصطلاحي هو توظيف للكفاءة اللغوية للمتكلم، وكيفيات توظيفه لكلماته في مقامات مختلفة، باختلاف المواقف، والأغراض والحاجات، لأن "القاعدة المعرفية تتشكل في نسق من المتتاليات الجديدة، وبوسعنا استجماعها على الترتاب التالي:

فاللغة لدينا اليوم موضوع للمعرفة

والإنسان قد أصبح هو نفسه موضوعا للمعرفة

واللغة قد كانت منذ القديم جسرا لمعرفة الإنسان

والإنسان قد أصبح على يد اللسانيات نفسها جسرا لمعرفة اللغة"⁹

وإذا كان الإنسان جسرا لمعرفة اللغة؛ فإن أهم ما يربطه باللغة هو التعبير بها عن مقاصده، وحاجاته، ولكي يكون التماثل حاصلًا بين الإنسان واللغة؛ يجب أن يكون هناك رابطٌ وصلة وثيقة تجمعهما، ولا تكون تلك الصلة إلا عبارة عن مكونات اللغة، ونظامها، فلا يستطيع أي منا أن يبقى صامتا دون أن يعبر عن ما يختلج صدره من أفكار أو عواطف، وإن أصبح اليوم بإمكان اللسانيات أن تبرهن على أن الإنسان يحدث نفسه، وذلك لأن العلاقة بين الدوال ومدلولاتها تنسجم مع الجانب النفسي للغة، ولذلك ستكون بنية التعبير متمثلة في مجموعة من الأنظمة اللغوية، ومع ذلك يمكن أن نتحدث في كل نظام عن مرجع معين يتم من خلاله شرح تلك البنية من المنظور اللساني.

3. بنية التعبير ومفهوم المعرفة والإدراك:

توصف المعرفة والإدراك بأنها مفهومان متلازمان، فلا يتحقق إدراك دون حصول معرفة سابقة، وهو الأمر الذي ينطبق على التعبير، فلا ينسجم تعبير ما في مقام ما إلا بمعرفة الكلمات ومعانيها، وكيفيات توظيفها لتخضع لمقامات معينة، ولذلك في تحديد مفهوم المعرفة "لا ينبغي أن يكون الحصول على المعلومات وتجميعها هدفا بحد ذاته، وإنما يجب البحث عن المعلومات الجيدة (الدقيقة)، بيد أنه يتعين علينا ربط المعلومات بعضها ببعض بصورة شبكية، وتدقيقها، وإثباتها لكي تتحول إلى معرفة منتجة فاعلة... وفي هذا السياق لا يمكن للمعرفة أن تصبح مفيدة إلا إذا وُضعت المعلومات في إطار مفاهيمي، فالحقائق والبيانات تُصبح ذات معنى، وجزءاً من المعرفة عند ربطها بأشياء تعرفها أنت، ولا شك أن الإطار المفاهيمي ضروري للفهم الصحيح" ¹⁰

فالمعرفة بمفهوم التعبير تتطلب بنية محددة، ولا شك أن الإطار الذي يحددها هو كيفية تعامل المتكلم مع اللغة واشتغالها من منظوره الشخصي، وباستحضاره لكيفيات التعبير انطلاقاً مما هو متعارف عليه من صياغات وتعابير مشتركة في استعمال المجتمع، فكأن التعبير في البداية يكون من منطلق اجتماعي، والذي تفرضه الأسرة أولاً ثم المجتمع ثانياً، من ثوابت اجتماعية، ومن عادات وتقاليد، أي أن البعد الاجتماعي متحقق في تشكيل بنية التعبير من منظور معرّف.

ومن أجل إثبات أهمية الإدراك في تشكيل بنية التعبير فإننا يجب أن نقرب كثيرا من فهمنا للواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه، فلا تكون الرؤية البصرية، ولا السماع اللغوي كافيين لتحقيق معنى الإدراك اللغوي لأن "الإدراك أكثر تعقيدا مما يبدو عليه الأمر في العادة، فهو يتضمن أكثر من مجرد النوع البسيط للرؤية، إذ يتضمن التفسير ثم الفهم، إنه يمثل ما تظن أنك تعرفه، وليس فقط ما تظن أنك تراه"¹¹

زيادة على ذلك أيضا ؛ نجد أن المعرفة والإدراك مفهومان مهمان في بنية التعبير، فلا يوجد إدراك دون معرفة، ونقطع الشك باليقين؛ إذا قلنا إن الإدراك في مجال اللغة _ في أبسط تجلياته _ هو معرفة لمعاني الكلمات، سواء كانت مجردة أو لها معنى حسي؛ يُعبر عنها في الواقع، وهو الأمر الذي يحيلنا إلى مناقشة بنية التعبير في إطار الأنظمة اللغوية المعجمية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية من منظور لساني.

4. _ بنية التعبير وأنظمة اللغة:

يُوصف التعبير بأنه النشاط اللغوي البارز الذي له علاقة مباشرة بوظائف اللغة، ومن ثمّ تحقيق بنية التواصل اللغوي، وعليه توصف تلك البنية بأنها تتضمن قيام أنظمة لغوية أساسية لتحقيق معنى بنية التعبير، وأهم هذه الأنظمة هي النظام المعجمي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والنظام البلاغي، والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هل بإمكاننا تحديد مكونات التعبير والعلاقة التي تجمع بينها للحديث عن قيام بنية نصفها بأنها بنية التعبير؟ لا شك أن مستعمل اللغة يميل إلى إتخاذ مسارين تتحرك فيهما بنية التعبير، وهما المجال المغلق في التحليل اللساني الذي يُحيل مباشرة على البنية ؛ وشروطها ، وكيفيات اشتغالها، والمجال المفتوح في اللغة ، والذي يروم تحقيق تلك البنية في مجالها المغلق، انتقالا إلى المجال المفتوح الكلام، مع العلم أن المجال المغلق في التحليل اللساني يقصد به النظر إلى لغة على أنها بنية ، والمجال المفتوح في اللغة ؛ يعني تحقق البنية ، ودراسة كيفيات انفتاح المعنى (أو بالمفهوم اللساني الانتقال من مفهوم اللغة إلى مفهوم الكلام) " ومن أجل إثارة الاهتمام بجدوى الدراسة اللسانية لمجال الاستعمال الفردي، قامت نظريات لسانية تكشف

قصور لسانيات اللغة عن استيعاب هذا المجال الحيوي بسبب انغلاقها على دراسة الواقع الداخلي¹²

ولنا في توظيف معنى الاستعمال الفردي تحقيق لبنية التعبير ، حيث إنّ التعبير باللغة هو القاعدة التأسيسية للفهم، وإن كانت هناك أنظمة تعبيرية غير اللغة يمكن التواصل بها، مثل بنية الأشكال التعبيرية المختلفة في مجالات الحياة المختلفة ، كالرسم، والموسيقى ، وغيرها من الفنون.

1.4. _ بنية التعبير والنظام المعجمي:

يتأسس النظام المعجمي على معنى الكلمات في المعجم بالإضافة إلى حضور العلاقات الدلالية لها، وقد يُوصف نظام المعجم أيضاً بأنه النظام الذي يقوم عليه ترتيب الكلمات؛ بوصفها مداخل تحيل على المعنى المعجمي لأي كلمة في المعجم، ويبدأ التعبير عندما يكون المتكلم قادراً على استحضار معاني الكلمات في ذهنه دون أن يتم شرحها مرة أخرى ، إذ يكون اكتسابها للمرة الأولى كفيلاً بمعرفة معانيها، سواء أكانت معانٍ حسية أو مجردة، ومع ذلك يمكننا القول إنّ النظام المعجمي هو تحقيق لبنية التعبير، وذلك بالتركيز على المرجع ، أي ما تحيل عليه الكلمات في الواقع الخارجي، ولذلك كانت نظرة الغربيين في اكتساب اللغة بحديثهم عن الملكة اللسانية، جزءاً من مفهوم التعليم، وإنّ "مسألة اكتساب اللغة من خلال استثارة الملكة اللسانية لدى المتعلم، تنطوي على ضرورة منهجية لأبد من مراعاتها_ ابتداءً_ في عملية التعلم... وذلك استناداً إلى اعتقادهم أنّ دراسة النحو من خلال قواعده الصورية المجردة لا تكون نافعة_ على الأقل في المراحل التعليمية الأولى_ للتلميذ الذي هو بحاجة إلى معرفة اللغة من حيث هي تحقيق... لا التفكير فيها من خلال دراسة النحو"¹³ وتحصل الملكة اللسانية للمتكلم بمجرد انتمائه إلى مجتمع ما، فيكتسب معاني الكلمات في مجتمعه، وفي البداية يكون مقلداً أي أنّه يكتفي فقط بمعرفة معاني الكلمات لتحقيق التواصل اللغوي البسيط، حالة التلميذ في المرحلة الابتدائية مثلاً_ لاعتقاده أنّ كل الكلمات التي يكتسبها ذات مدلول الحسي في الواقع، وربما هذه الرؤية قد تكون أساسية لتحقيق بنية التعبير، ولذلك "فإنّ رؤية الأشياء باللغة تظلّ مشوبةً بالظلال الهاشية الخاصة بالضرورة، وكيفينا في امتحان هذه القضية، والحكم بقبولها أو ردّها أنّ نتخذ التفاهم المتبادل معياراً"¹⁴

وعلى كل فإنّ بنية التعبير في علاقتها بالنظام المعجمي، تُعدُّ الأساس الذي تبنى عليه مكونات التعبير، فلا يمكن التواصل باللغة إلا بعد معرفة معاني الكلمات في المعجم، بغض النظر عن تحليل معانيها بوصفها تدل على الواقع الحسي، أو بوصفها ذات دلالات مجردة، تمّ الاتفاق على معانيها.

2.4. _ بنية التعبير والنظام الصرفي:

لعل مرحلة اختيار الكلمات بوصفها مكونات البنية التعبيرية، لا يكون من فراغ؛ بقدر ما يلتزم مستعمل اللغة باختيار صيغة صرفية، لها علاقة مباشرة بالمعاني المراد تحقيقها في تواصله اللغوي، ولذلك فإنّ بنية التعبير في علاقتها بالنظام الصرفي تسير في إطار التحليل الشكلي أي من بنية إلى بنية، وقد يلتزم المتكلم اختيار بنية صرفية متكررة في كلامه، فيعرف ذلك الشخص من خلال توظيفه لتلك البنية، وقد يكون معنى الاختيار هنا محيلا على مفهوم الأسلوب، والأسلوب في أبسط تعريف له " هو الطريق اللغوي الذي يسلكه الكاتب للتعبير عن أفكاره، فيختار من الألفاظ والجمل ما يراه مناسباً لذلك، فالأسلوب صفة لغوية فردية تمثل نمطا شخصيا، الأسلوب هو الرجل"¹⁵

ويُعدُّ الصرف العلم الذي يعنى بمعرفة أحوال بنى الكلمات، ولذلك يمكن أن تكون البنية الصرفية أيضا هي المكوّن الثاني الأساسي المشكّل لمفهوم بنية التعبير، بعد المكوّن الأول وهو المعجم، ويمكن وصف النظام الصرفي بأنّه أساس التركيب اللغوي، وهو ما يحيلنا إلى دراسة كيفية التعامل مع المعلومة اللابصرية وعلاقتها بالذاكرة طويلة المدى، فالمتكلم ليس في مقدوره أن يستدعي دلالات البنى الصرفية للكلمات، وإنما يتم ذلك ذهنيا، لأنّ اختيار معاني الكلمات وصيغها هو عملية ذهنية، " فالمعلومة اللابصرية التي نعود إليها لفهم اللغة المكتوبة ؛ مثل المعلومة التي نحتاجها لفهم الشفهي، تكمن في الذاكرة طويلة المدى: المصدر الوحيد للمعارف القبلية حول العالم، واللغة التي نستخدمها، وفي سياق أعم يُطلق علماء النفس على هذا المصدر مصطلح البنية الإدراكية، إنّ هذا المصطلح دقيق ما دامت {إدراكية} مشتقة من المعرفة الإدراك وبنية تتضمن تنظيمًا، وهذا ما تمتلكه أذهاننا تنظيم المعارف"¹⁶

3.4. بنية التعبير والنظام النحوي:

لا يختلف اثنان في وصف النحو بأنه قواعد تمنع المتكلم من الوقوع في الخطأ في تركيبه اللغوي، وهو ما يدلُّ على أنَّ البنية النحوية هي أساس تشكيل بنية التعبير، لأنَّ المتكلم ينتقل من مجال الأفراد البنية الصرفية مثلاً إلى مجال التركيب علاقة البنى بعضها ببعض، وما دام التعبير لا يخرج عن قواعد اللغة ونظامها النحوي؛ فإنَّ المتكلم يراعي أهمية تلك القواعد في تحديد بنية التعبير، وضبطها، ولعل التركيب أقرب إلى مفهوم البنية، ذلك أنَّ البنية هي تركيب لعناصر ذات علاقة تجمع بينها، وما العلاقة التي تجمع بين بنى الكلمات في الجملة إلا علاقة نحوية، وبالتالي الحديث عن بنية للتعبير؛ هو في الواقع حديث عن البنية النحوية وقواعدها، ولذلك فمستعمل اللغة يراعي في تحديده لبنية التعبير انطلاقاً من قواعد النحو، فإذا اختار التعبير بالجملة الاسمية؛ استخدم اسمين مبتدأ وخبراً مثلاً، وإن غلب على كلامه توظيف الجملة الفعلية تقدم الفعل على الاسم، وهكذا، وربما نستطيع القول هنا إنَّ مجال بيئة التعبير تقترب من مجال البلاغة والأسلوبية أيضاً، وقد لا حظ الطيب دبه أنَّ النحو له علاقة باللسانيات من حيث انتقال التحليل من المعيارية، إلى الوصفية؛ ولذلك تعاملت اللسانيات مع النحو على أنَّه صور تجريدية، أو أشكال ونماذج، و"المراد بالشكل والنموذج في اللغة مثلاً، هو مكوناتها الصورية التجريدية، ولذلك فإنَّ اللسانيات البنيوية لا تُعير الجوانب المادية الملموسة في اللغة (مثل الصوت والدلالة) قيمة في ذاتها، فهي لا تدرسها إلا من حيث هي وسائل، وعيّنات تخضع لإجراءات البحث العلمي، وتُعيّن على إدراك النموذج التجريدي المتضمن فيها"¹⁷

ومادام هدفنا هو تحليل بنية التعبير، فإنَّ هذه البنية أيضاً تقوم على نماذج وأشكال صورية، ولكنها قد تختلف في استعمالها من شخص إلى آخر، فمثلاً هناك من يوظف الجمل المثبتة أكثر من الجمل المنفية، وهذا قد يحيلنا إلى مفهوم الأسلوب الفردي للمتكلم، ومع ذلك فقد تمَّ الإجماع على أنَّ الأمثلة العربية، هي منوال أو نموذج بإمكان أي شخص ينتمي إلى ثقافة ما أن يوظف ذلك المثال كلما انسجم مع المقام الذي يتناسب معه، وفي هذه الحالة، ليس

من الضروري أن يحلّ المتكلم بنية تعبيره إلى أشكال لغوية معيّنة ، مادام الثابت في المثال هو المعنى و مضرب المثل ومقامه .

4.4. _ بنية التعبير والنظام البلاغي؛

يُمثّل النظام البلاغي أحد اهم مكوّنات بنية التعبير، ذلك أنّ مستعمل اللغة يراعي في نسج معانيه قواعد بلاغية ثابتة، وله الحق أن ينتقل بين أبواب البلاغة، ليحدّد المعنى الذي يريد إبلاغه للمتلقّي، وقد كانت أبواب البلاغة بمثابة بنية تأسيسية لقيام بنية التعبير، ولنا في هذا المقام أن نُشير إلى أنّ النظام البلاغي؛ هو النظام الذي يضطلع بإنتاج المعاني المختلفة، والتي لا تخرج عن أبواب البلاغة الثلاثة: المعاني، البيان، البديع، وهو الأمر الذي أخرج البلاغة من مفهومها التقليدي، إلى مفهومها الوصفي حينما انتقل مفهوم البلاغة إلى مفهوم جديد وهو الأسلوبية، ولكن مع اختلاف في المنهج والأدوات الإجرائية، وبالتالي فإنّ النظام البلاغي ينبغي أن يشمل كل مباحث البلاغة وتوجهاتها، لأنّ البلاغة تهدف إلى إنتاج قواعد وقوانين، تُسهّم في ربط العلاقة بين المتكلم والمتلقّي.

غير أننا عندما وظفنا العلاقة بين بنية التعبير، والأنظمة اللغوية لم نقص بنية الدلالة، ولا البنية الصوتية، لأنهما بنيتان حاصلتان في أي بنية لغوية، ولكن الهدف من تحليل بنية التعبير، يكمن في إمكانية أن يكون التعبير باختلاف أنواعه، وأغراضه، ومقاماته هو بنية لغوية، فإنّ مال مستعمل اللغة إلى بنية التعبير الأدبي، وجب عليه حينئذ أن يكون ملما بجميع أنظمة اللغة المختلفة، وهو ما يتناسب مع مفهوم التدريس، حيث إنّ أغلب تلك الأنظمة يتمّ تحصيلها بالتدريس، ولا تكتسبُ فقط من المجتمع، ما عدا المعاني المعجمية التي تكون مشتركة؛ بين المتكلمين باللغة الواحدة.

خاتمة:

والخلاصة التي يمكن أن نصل إليها في هذه المقالة ؛ هي أنّ بنية التعبير
حاصلة بين مكونين وعلاقتين ولنا أن نبرهن على ذلك من خلال : أنّ المكون
المعجمي والمكون الصرفي يلتقيان في وضع بنية نسميها بنية التعبير، ولكن لا يزال
معنى هذه البنية ملتبسا، فعندما ننتقل إلى مجال النحو والبلاغة، يُمكننا هذا
الانتقال من وضع البنية النحوية والبلاغية، بوصفهما بنيتين أساسيتين
تؤسسان لبنية التعبير، والمقصود هنا التعبير الأدبي، لأنّه بإمكان شخص ما لا
يُتقن النحو ولا البلاغة أن يُعبّر، دون أن يحيل إلى كيفية تشكيل بنية التعبير في
تركيبه اللغوي، ولكنه مع ذلك يعني تجريدياً أنّ ما قاله سواء كان في باب
الحقيقة أو في باب المجاز، لا يخرج عن تمثلات البنيتين النحوية والبلاغية، وهو
الأمر الذي ينطبق على المكونات.

قائمة المراجع:

- 1 اعاطف فضل محمد، جميل محمد بن عطا، اسماعيل مسلم أبو العدوس، فن الكتابة والتعبير، دار المسيرة، الأردن، ط1 ، 2013، ص31.
- 2 عبد العال عبد المنعم سيد، طرق تدريس اللغة العربية، دار غريب، القاهرة، دط ، دت، ص108.
- ❖ تحليل الخطاب هو الفرع المعرفي الذي يهتم بدراسة الخطاب ، وتحليله من منطلق لساني نقدي، وهو مجال أوسع من اللسانيات ، للتفصيل في بعض قضايا اللسانيات ينظر : سليمان بن سمعون، في قضايا اللسانيات وتحليل الخطاب، دار الضحى ، الجلفة الجزائر، ط1، 2019.
- 3 زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، دط ، 1990، ص31.
- 4 علي جواد الطاهر، أصول تدريس اللغة العربية، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1984، ص20.
- 5 سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، مدخل إلى التدريس، دار الشروق، عمان ، الأردن، ط1 ، 2003، ص ص 28.30.
- 6 كمال أحمد زيتون، التدريس نماذجه ومهاراته، عالم الكتب، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2003، ص ص 27.28.
- 7 سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، مدخل إلى التدريس، ص ص 15.16.
- 8 المرجع نفسه، ص ص 13.14.
- 9 عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان، ط1، 2010، ص22.
- 10 روبرت دياني، التفكير الناقد والتفكير الإبداعي، دليل مختصر للمعلمين، مراجعة سليمان القرنة، تر منذر محمود الصالح، المملكة العربية السعودية، ط1، 2017، ص53.
- 11 _المرجع نفسه، ص32
- 12 الطيب دبه، اللسانيات وقضايا اللغة العربية، مطبعة رويغي، الأغواط الجزائر، ط1، 2014، ص180.

¹³ 18p.1972. principes de linguistique appliquée. arcaini.e. نقلًا عن

الطبيب دبه، اللسانيات وقضايا اللغة العربية، ص191.

¹⁴ نهاد موسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي

الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 16.

¹⁵ ثائر عودة، مهارات الإتصال الفعال باللغة العربية المستوى الجامعي، مكتبة

الفلاح للنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 2012، ص 117.

¹⁶ لحسن بوتكلاي، تدريس النص الأدبي من البنية إلى التفاعل، إفريقيا

الشرق، الدار البيضاء المغرب، دط، 2011، ص 59.

¹⁷ الطبيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية ابستمولوجية، دار

القصبة، الجزائر، دط، 2001، ص 43.